الفصل الثاني

التاريخ السياسي للولايات المتحدة الأمريكية

إعلان الاستقلال:

تم إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن إنجلترا عام ١٧٧٦، صاحب ذلك إعلان حقوق الإنسان والمواطنة، حيث ينص الإعلان: "لقد خُلق الناس جميعا متساويين، ومنحهم الله حقوقا لا تقبل التنازل عنها، كالحياة والحرية والبحث عن السعادة". ويعتبر تاريخ الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر في الأساس تاريخ القضاء على الهنود الحمر، فمن عام ١٨٠٠ حتى عام ١٨٣٥ أُبعدت القبائل الهندية لما وراء المسيسيبي، وبعد عام ١٨٤٠، عندما تم إنشاء ومد خطوط السكك الحديدية، أُجبر الهنود على ترك أراضيهم ليستقروا في المعازل المخصصة لهم. ويتصف تاريخ زعماء الولايات المتحدة الأوائل بالهيمنة لإرساء أسس الدولة الجديدة. فجورج واشنطن عمل على تدمير المجتمعات الهندية، وتوماس جيفرسون اهتم بالاتحاد وإزالة أية عقبات أمامه، وجون كوينس آدمز أطلق على المستعمرات قارة أمريكا الشمالية تمهيدا لنظرية مونرو. يأتي بعد ذلك ودرو ويلسون بالمهمة الخاصة بتلقين كل شعب مُستعمر النظام وضبط النفس والتدريب على القوانين والطاعة لتثبيت دور سلطة الدولة. وكانت قد ظهرت هذه الهيمنة بوضوح في عهد الرئيس مونرو في رسالته إلى الكونجرس الأمريكي في ٢ من ديسمبر عام ١٨٢٣ عندما ذكر أن للأوروبيين القارة القديمة وللأمريكان القارة الجديدة (مبدأ مونرو). وفي عام ١٨٦٥ اندلعت الحرب الأهلية لإنهاء نظام العبيد، تبعه نشأة إرهاب المنظمات السرية مثل "كلو كلوكس كلان" وظهر

بوضوح التمييز العنصري قابلة كفاح وتضحيات عظماء مثل مارتن لوثر كينج[1]. وفي السنوات الأولى بعد الاستقلال كانت السياسة الخارجية الأمريكية انعكاسا للمصلحة القومية الأمريكية والتي لم تكن سوى دعم للاستقلال. ولم تكن هناك دولة أوروبية قادرة على أن تشكل تهديدا لأمريكا طالما أن تلك الدولة منهمكة في النزاع مع منافسين لها، وبينما كان هناك استخدام أحيانا لأساليب سياسات القوة الأوروبية، فإن القادة الأمريكان ظلوا ملتزمين بالمبادئ التي جعلت من بلدهم بلدا ممتازا عن غيره من البلدان. لقد خاضت الدول الأوروبية حروبا كثيرة لمنع الدول التي لديها إمكانية السيطرة على الآخرين من النهوض والارتفاع. وفي أمريكا فإن المزيج المكون من قوة أمريكا وبعدها الشاسع عن الآخرين بث في الأمة ثقة بأن أي تحد يمكن التغلب عليه بعد أن يظهر. وقد أقامت الأمم الأوروبية التي لا يتوافر لها إلا هامش أضيق للبقاء ائتلافات ضد إمكانية التغيير، وكانت أمريكا بعيدة بعدا كافيا يجعلها لا تقيم سياستها على أساس مقاومة واقع التغيير الفعلي. وكان هذا هو الأساس الجغرافي السياسي للتحذير الذي صدر عن جورج واشنطن من الأحلاف الدائمة التي تقوم لأي سبب حيث ذكر "أنه ليس من الحكمة أن نورط أنفسنا بسبب عقد روابط متكلفة في التقلبات العادية لسياسات الدول الأوروبية أو التجمعات أو المصادمات العادية بين أصدقائها أو أعدائها. أن موقعنا الجغرافي البعيد يدعونا إلى اتباع طريق مختلف تماما ويجعل في إمكاننا أن نفعل ذلك"[2].

ولم تنظر أمريكا الجديدة إلى نصيحة جورج واشنطن على أنها حكم عملي، صدر انطلاقا من اعتبارات جغرافية سياسية بل نظرت إليها على أنها قاعدة أخلاقية. وقد وجدت أمريكا بوصفها الداعية لمبدأ الحرية، إنه شيء طبيعي أن تفسر الأمن الذي وفرته لها المحيطات الكبيرة على أنه دليل على نعمة إلهية،، وأن تنسب تصرفاتها إلى بصيرة أخلاقية سامية وليس إلى حد أمان لا تشاركها فيه أية أمة أخرى.

وحتى بداية القرن العشرين كانت السياسة الخارجية للولايات المتحدة في غاية البساطة: وهي الاستسلام لتحقيق القدر الواضح للبلد، وأن يظل البلد بعيدا عن التورط في أية مشاكل فيما وراء البحار.

لقد أدارت أمريكا في وقت ما ظهرها لأوروبا لكي تتسع في نصف الكرة الغربي، وتحت مظلة مبدأ مونرو كان يمكن لأمريكا أن تتبع سياسات لم تختلف إطلاقا عن أحلام أي ملك أوروبي ـ التوسع في تجارتها ونفوذها وضم أراضي جديدة إليها ـ باختصار تحيل نفسها إلى دولة كبرى دون أن يتطلب منها ذلك ممارسة سياسات القوة. فأمريكا لم تنظر إلى توسعها على أنه أمر يتعلق بسياستها الخارجية فلذلك استطاعت أن تستغل قوتها لكي تنتصر على الهنود وعلى المكسيك وفي تكساس وأن تفعل ذلك وهي مرتاحة الضمير. وباختصار فقد كانت السياسة الخارجية للولايات المتحدة هي ألا تكون لها سياسة خارجية. وقد اعترضت الحرب الأهلية لفترة قصيرة انهماك أمريكا في التوسع الإقليمي، فقد أصبح اهتمام السياسة الخارجية لواشنطن في ذلك الوقت هو منع اعتراف الدول الأوروبية بالاتحاد الكونفيدرالي (الولايات الإحدى عشرة التي انفصلت عن الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٦٠ ـ ١٨٦١) حتى لا يظهر نظام الدول المتعددة على أرض أمريكا الشمالية وتظهر معها سياسات ميزان القوى الذي اتبعته الدبلوماسية الأوروبية[٣].

الحرب الأهلية:

في غضون سنة لاحقة، بدأت الحرب الأهلية الأمريكية في تحويل المصادر القومية الأمريكية إلى الأغراض العسكرية. وامتدت الجبهات التي انطوت عليها الحرب من ساحل فرجينيا إلى المسيسيبي وأبعد منها غربا إلى ميسوري وأركانساس ـ معظمها غابات وجبال ومستنقعات. وأصبح اقتحام الجنوب مهمة بالغة الصعوبة عسكريا، سيما لشعب أبقى على حجم أقل لقواته المسلحة

ولم يكن لديه بعد خبرة الحروب واسعة النطاق. وعلى ذلك وبينما سبب صراع الأعوام الأربعة خسائر فادحة في المعدات والأرواح، إذ خسرت الولايات المتحدة حوالي ٣٦٠ ألف رجل، والولايات الكونفدرالية الأخرى ٢٥٨ ألف رجل - لقي حوالي ثلثهم حتفه في ساحة القتال، أما الباقون فقد ماتوا متأثرين بأمراضهم على الغالب، وكان مجمل الخسائر البالغة ٦٢٠ ألف رجل أكثر من مجموع ما تكبدته أمريكا في الحرب العالمية الأولى والثانية والحرب الكورية. ومن بدايات متواضعة حولت القوات المسلحة لكلا الطرفين أنفسها إلى جيوش كثيرة الجند، مزودة بالمدفعية والبنادق والأسلحة الصغيرة الحديثة، صقلتها حرب حصار شمالي فرجينيا ونقلت حشودها بالقطارات، واتجهت إلى الجبهات الغربية وتجرى اتصالاتها بالتلغراف مع مقرات الجيش. وعلاوة على ذلك شهدت الحملات البحرية أول استخدام للسفن المدرعة، والأبراج الدوارة، وأول استخدام للطوربيدات والألغام البحرية، إضافة إلى مراكب القرصنة التجارية السريعة والمسيرة بالطاقة البخارية. واستحق هذا الصراع تسميته بأول حرب شاملة اعتمدت على المبتكرات الصناعية بمقاييس بدايات القرن العشرين. وبدأ ظهور قوة الشمال على الجنوب نتيجة التكافؤ في المصادر الطبيعية والسكان، حيث كان هناك الفارق العددي الكبير بين الشمال والجنوب. فبينما بلغ عدد سكان الشمال ما يقرب عشرين مليون فرد أبيض، لم يتجاوز عدد سكان الجمهوريات الكونفدرالية الستة ملايين فرد. وتطور الأمر حيث خدم حوالي مليوني رجل في الجيش الاتحادي الذي بلغت أوج قوته مليون رجل في عامي (١٨٦٤-١٨٦٥) بينما حارب في صفوف الجيش الكونفدرالي حوالي ٩٠٠ ألف رجل لم تتجاوز أعلى قوتهم ٤٦٤٥٠٠ رجل.. ومما أثر في سير الحرب هو المخاطر بانتزاع أيدي عاملة كثيرة في الجنوب من ميدان الزراعة والمناجم والمسابك، فأضعف بذلك قدرتهم المشكوك أساسا في مدى تحملها حربا طويلة، ووجد الكونفدراليون أنفسهم ومنذ البداية في موقع المتضرر اقتصاديا. ولعبت القوة

البحرية الشمالية دورا حيويا في سيطرة قواتها المسلحة على الأنهار الداخلية الكبيرة لاسيما حوض المسيسيبي ـ تينسي، وهو الاستخدام المشترك للنقل المائي وعبر السكك الحديدية الذي ساعد الاتحاد في هجوماته في المسرح الغربي. كذلك وجد الكونفدراليون أنفسهم عاجزين عن تمويل الحرب، ولم يعد أمام الجنوب من طريقة لهزيمة الشمال وأصبح خير ما يمكن تحقيقه هو إضعاف جيوش الشمال وقوة إرادته حتى يتخلى عن سياسة الإكراه ويقبل بمطالب الجنوب (المتلعقة بالاسترقاق أو الانشقاق أو كليهما). وكان لهذه الإستراتيجيةأن تصلح كثيرا لو صوتت الولايات المتاخمة أمثال ميريلاند وكنتاكي بقوة بالانضمام لصالح الكونفدراليين، غير أن ذلك لم يحدث. وكان لها أن تحصل من العون الكبير لو أن قوة أجنبية كبريطانيا جنحت إلى التدخل، لكن افتراضا كهذا يعني سوء فهم خطير في قراءة أولويات السياسة البريطانية في مطلع ستينيات القرن التاسع عشر. وهكذا لما استبد الضعف باقتصاد الجنوب وانهارت معنويات جنده وخارت قوى قوات خط الجبهة، تقلصت قوات المهمات بحلول عام ١٨٦٥ إلى ١٥٥ ألف رجل ـ ولم يبق من خيار واقعي سوى الاستسلام. بحلول عام ١٨٦٨ عاد الرئيس أندرو جونسون إلى الموقف القديم الذي يبرر التوسع الإقليمي وفقا لمبدأ مونرو، وقد تمثل هذا التوسع في شراء ألاسكا[٤].

أمريكا المنقسمة برؤية ويلسون ورؤية روزفلت:

يستعرض روبرت باستور[٥] كيف كانت الولايات المتحدة منقسمة برؤية ثورية حيث وضعت الحرب الإسبانية ـ الأمريكية عام ١٨٩٨ حدا فاصلا للعلاقات الأمريكية مع العالم، إذ فصلت ما بين القرن التاسع عشر المتسم بالانعزالية والقرن العشرين المرتبط بالعالم. وأدرك الأمريكيون على نحو تدريجي أن لهم دورا مهما يجب أن يلعبوه في العالم، لكنهم كانوا لا يزالون يجادلون حول الدور الواجب لعبه ـ سواء كان مثالا يحتذى يجدر التشبه به، أو دورا يناصر

قضايا تشكل مصير العالم. كان ويلسون يرغب في الحيلولة دون نشوب الحروب في المستقبل وفي نفس الوقت يجعل العالم يسلك طريق الديمقراطية. وكان اقتراحه أمريكيا مثاليا: يجب تفكيك نظام ميزان القوى الأوروبي لصالح مجتمع قوة ـ عصبة الأمم ـ يضمن تقرير مصير جميع الأمم، وبذلك تنتفي الحاجة إلى الحروب. والولايات المتحدة لديها رؤيتان عن نفسها وموقفها في مستقبل العالم: رؤية ويلسون عن المؤسسات الدولية والأعراف العالمية، ورؤية يتودور روزفلت عن الولايات المتحدة كقوة عظمى تعمل وحدها ورؤية أمريكا المنقسمة هي نتاج متأن للدستور، فلم يفرض الآباء المؤسسون أهداف السياسة الخارجية، لكنهم رسموا عملية تقوم من خلالها مؤسستان مستقلتان لهما صلاحيات مشتركة وهما ـ رئاسة الجمهورية والكونجرس ـ لوضع الأهداف وكانوا يريدون أن تنقسم الحكومة حتى لا تتمكن مؤسسة بمفردها أن تطغى على الأخرى وبالتالي تحرم الشعب من حرية المشاركة في المناظرة، وأرادوا أن يكون الدخول في الحرب أمرا صعبا حتى تفرض الأحداث وحدة الغرض.

كان مبدأ مونرو بمثابة الأساس الإستراتيجي للسياسة الخارجية الأمريكية، يقدم تبريرا للاحتفاظ بمنافسين خارج نصف الكرة الغربي. وليس من المصادفة أن كانت اتفاقية نصف الكرة ـ معاهدة ريو الدولية ـ أول تحالف معقد إقليمي تقبله الولايات المتحدة منذ أن أصدر جورج واشنطن تحذيره، وكانت كوبا الموقع الأقرب الذي تحارب منه الولايات المتحدة حربا نووية. وبغض النظر عن مدى القوة التي وصلت إليها الولايات المتحدة في القرن العشرين، فإنها تعطي دائما أولوية لحماية جيرانها، وكانت سياساتها الناجحة في نصف الكرة الأرضية تطبق دائما على مستوى العالم.في خطبة الوداع، حذر جورج واشنطن مواطنيه بالابتعاد عن التحالفات الدائمة لأن "موقعنا المنفصل والبعيد يدعونا ويمكننا من اتباع طريق مختلف". وسار خلفاء واشنطن على نهجه، واستغلوا المميزات الكاملة للأمن التي تتوفر لأمريكا. وفي عام ١٩٠١ وفي رسالته السنوية الأولى إلى

الكونجرس، وصف روزفلت السلام بأنه لن يتحقق إلا إذا دافعت الأمم عن نفسها وكان لديها "عدل واهتمام قوي بحقوق الآخرين". وبالنسبة له كانت تلك الحقائق جوهر مبدأ مونرو. وفي تمييزه ما بين المساواة التي ميزت علاقات الولايات المتحدة بجيرانها وبين الاستعمار الذي ربط أوروبا بمستعمراتها في أعالي البحار، تعهد روزفلت بأن الولايات المتحدة لن تحمي أية أراضي على حساب أي جارة من جيرانها ولن تسعى إلى أية ترتيبات تجارية بدون الغير. هاتان النقطتان ـ معارضة الاستيلاء على الأراضي وتفعيل التجارة الحرة ـ سوف يكونان المبدأين الأساسيين في المخطط الأمريكي.

اتبعت الولايات المتحدة سياسيتين مختلفتين في آسيا: سياسة الباب المغلق مع الفلبين، وسياسة الباب المفتوح مع الصين. كانت الولايات المتحدة آخر القوى الكبرى التي لها إمبراطورية في الفلبين وكانت أيضا أول من أصبح من تحرر وهم الإمبراطورية الشكلية، ونقلت السيطرة الداخلية إلى الفلبين المطالبين بالاستقلال بحلول عام ١٩٠٧، وتعهدت بالاستقلال الرسمي في مرسوم جونز عام ١٩١٦، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا لا تزال تسجن الهنود. وفي الصين ربطت الولايات المتحدة أهدافها بمصالحها الإستراتيجية والاقتصادية. وقسم الأوروبيون واليابانيون الإمبراطورية الصينية القديمة إلى مناطق نفوذ. وعلى الرغم من ضغط رجال الأعمال الأمريكيين الذين أرادوا الوصول إلى السوق الصينية، قاومت الولايات المتحدة الإغراء وأعلنت سياسة الباب المفتوح: طالبت الحكومات الأوروبية بفتح مناطقها للتجارة والمستثمرين من جميع الدول واحترام سلامة الأراضي الصينية. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة لم تتعامل مع الصين بشكل جيد، فإنها تصرفت بشكل أفضل من الأمم الأوروبية، وأدركت الحكومة الجمهورية الصينية الجديدة الاختلاف.

الحرب العالمية الأولى ودور أمريكا:

في ٢٨ من يونيو ١٩١٤، اغتيل وريث عرش النمسا ـ المجر، الأرشيدوق فرانز فرديناند في سيراجيفو في مقاطعة البوسنة. كان القاتل طالبا مواليا لصربيا اسمه جافريلو برنسيب، أثار بعمله هذا سلسلة المناورات الدبلوماسية التي أدت في آخر المطاف إلى الحرب. كانت بلاد البلقان منذ وقت طويل مركزا للنزاع، وكانت القومية الصربية تهدد إمبراطورية النمسا ـ المجر المزعزة، والتي كان تفككها سيؤدي إلى عزل حليفتها ألمانيا. ضغطت ألمانيا على حليفتها لتقوم بعمل حازم، فأعلنت النمسا ـ المجر الحرب على صربيا في ٢٨ من يوليو ١٩١٤. بعد ذلك بيومين أعلنت روسيا تعبئة جيوشها، فردت ألمانيا على ذلك بإعلان الحرب على روسيا في الأول من شهر أغسطس ١٩١٤. كانت خطة شليفن، التي رسمت بقصد تفادي الحرب على جبهتين في آن واحد، تقضي بأن تقوم ألمانيا بهجوم سريع شامل عن طريق بلجيكا لسحق فرنسا، حليفة روسيا، ولهذا السبب أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا في ٣ من أغسطس ١٩١٤، وقامت بغزو بلجيكا في اليوم التالي. نتيجة لهذا تدخلت بريطانيا للدفاع عن بلجيكا في ٩ من سبتمبر ١٩١٤، كانت القوات الألمانية قد تقدمت نحو نهر المارن، لكن القوات البريطانية والفرنسية استطاعت إيقافها. وفي نهاية أكتوبر ١٩١٤، كان كل فريق يواجه الآخر في خنادق ممتدة من القناة الإنجليزية إلى الحدود السويسرية. أما في الجبهة الشرقية، فقام الجيش الروسي الضخم، الضعيف التسليح، بالتدفق على بروسيا الشرقية حيث حلت به هزيمة ساحقة في ٢٠ من أغسطس ١٩١٤ في معركة تانبزج. دخلت تركيا الحرب إلى جانب قوى الوسط في أكتوبر ١٩١٤. وبعد هجوم بحري باهظ التكاليف قام به الحلفاء في جاليبولي عند مدخل الدردنيل، حاول ٧٥ ألف من الأستراليين والنيوزيلانديين والإنجليز والفرنسيين فتح جبهة جديدة على الأراضي التركية. فشلت الحملة وانقطعت بذلك إمدادات الحلفاء عن روسيا. حول نهاية عام ١٩١٥، أدرك الجانبان أن الحرب ستكون طويلة الأمد. ففي بداية

الحرب، فرض الأسطول البريطاني حصارا بحريا على الموانئ الألمانية، معيدا السفن المحايدة إلى حيث جاءت. رد الألمان على هذا بهجوم الغواصات، ولكنهم لم يحرزوا نجاحا كبيرا في السنتين ١٩١٥ و١٩١٦، لأن إغراق السفن المحايدة كانت محظورا. حصلت مواجهة واحدة بين الأسطولين البريطاني والألماني، وذلك في معركة جوتلند في ٣١ مايو ١٩١٦. لم تسفر المعركة عن نتيجة حاسمة، لكن الأسطول الألماني ظل على أثرها في موانئه حتى نهاية الحرب. خلال عام ١٩١٦، سبب الحصار البحري لألمانيا نقصا حادا في المواد الغذائية، مما أدى إلى قيام اضطرابات، فشن الألمان في ٣١ يناير ١٩١٧ حرب غواصات دون هوادة أغرقوا فيها سفنا للولايات المتحدة، فجروها بذلك إلى حلبة الحرب. وكانت إيطاليا قد دخلت الحرب إلى جانب الحلفاء في ٢٦ أبريل ١٩١٥، وحاربت بشكل غير حاسم ضد النمسا ـ المجر، إلى أن لحقت بها هزيمة ساحقة في كاربوريتو في ٢٤ أكتوبر ١٩١٧ كادت تخرجها من ساحة الحرب. أما في روسيا، فقد أدى موقف الجماهير المعادي للحرب إلى خلع القيصر في مارس ١٩١٧. شنت الحكومة المؤقتة هجوما آخر، بعد تعثر ذلك الهجوم، استولى الحزب الشيوعي "البلشفيك" على الحكم في نوفمبر ١٩١٧ وسعوا للصلح. أعطت معاهدة برست ليتوفسك في مارس ١٩١٨ ألمانيا مساحات هائلة في غرب روسيا كغنيمة حرب. أدرك الألمان أن عليهم أن يتبعوا نجاحهم في الشرق بانتصار في الغرب، وذلك قبل وصول المدد الأمريكي بكل قوته. لذلك شنوا سلسلة من الهجمات تحت قيادة الجنرال اريك لوذندورف بين مارس ويوليو ١٩١٨، فاستطعوا بذلك رد الحلفاء إلى المارن، ولكن تم إيقافهم مرة أخرى هناك. وبعد وصول الجيوش الأمريكية، قام الحلفاء بهجوم معاكس أثناء شهر أغسطس ١٩١٨، ثم بهجوم كبير واسع النطاق في ٢٦ سبتمبر ١٩١٨ أقنع القيادة العليا الألمانية أنها خسرت الحرب، فطلبت الصلح. وفي مطلع نوفمبر ١٩١٨، قامت في ألمانيا حركات تمرد مناهضة للحرب ومؤيدة للبلشفيك، فتنازل القيصر عن العرش في ٩ نوفمبر ١٩١٨،

ووقعت هدنة في ١١ من نوفمبر ١٩١٨، كذلك سقطت النمسا ـ المجر في نوفمبر ١٩١٨ بعد هجوم شنه الحلفاء[٦]. كان دخول أمريكا الحرب قد جعل من الممكن أن يتحقق النصر التام، ولكنه كان لأهداف ليست لها صلة كبيرة بالنظام العالمي الذي عرفته أوروبا ثلاثة قرون والذي يعتقد أنها دخلت الحرب من أجله. لقد ازدرت أمريكا مفهوم ميزان القوى واعتبرت ممارسة السياسة الواقعية أمرا غير أخلاقي. وكان معيار أمريكا للنظام الدولي هو الديمقراطية والأمن الجماعي وحق تقرير المصير ـ ولم يكن أي منها قد تعرض لأي تحديد في أوروبا من قبل. فمن رأي أمريكا أنه ليس تقرير المصير هو سبب الحرب لكن عدم وجود هذا الحق هو السبب، وليس غياب ميزان القوة هو السبب في عدم الاستقرار، ولكن العمل على استتباب ميزان القوى هو السبب. واقترح الرئيس الأمريكي ويلسون أن يقوم السلام على أساس مبدأ الأمن الجماعي. ففي رأيه أن أمن العالم يتطلب أن يتحقق السلام عن طريق أن يكون السلام مفهوما قانونيا وليس مفهوما للدفاع عن مصالح وطنية، وتحديد ما إذا كان قد ارتكب انتهاكا للسلام يلزم مؤسسة دولية، عرّفها ويلسون بأنها عصبة الأمم. والغريب أن فكرة تلك المنظمة ظهرت أولا في لندن وكانت منذ ذلك الوقت هي معقل دبلوماسية ميزان القوى. ولم يكن الدافع لها هو محاولة خلق نظام عالمي جديد بل هو بحث بريطانيا عن سبب وجيه لدخول أمريكا حربا في ظل النظام العالمي القديم. وبغض النظر عن آباء عصبة الأمم الأصليين فقد كانت العصبة فكرة أمريكية محضة. فما تصوره ويلسون هو اتحاد عالمي للأمم للمحافظة على طرق أعالي البحار سليمة آمنة لكي تستخدمها جميع دول العالم دون أن يعوقها شيء ولمنع بدء أي حرب تكون متناقضة مع نصوص معاهدات أوتشن بدون إنذار وعرض الأسباب الكاملة لذلك على الرأي العالمي ـ ويعتبر ذلك ضمانا فعليا لسيادة الدول على أراضيها واستقلالها السياسي.

وفي البداية امتنع ويلسون عن عرض مساهمة أمريكا في هذا "الاتحاد العالمي". وأخيرا في يناير ١٩١٧ اتخذ الخطوة وأيد عضوية أمريكا في العصبة، ومن

الغريب أنه استخدم في ذلك مبدأ مونرو كنموذج[٧]. في هذه الفترة كان وودرو ولسن الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة الأمريكية (١٩١٣ـ١٩٢١) وهو يعتبر مؤسس عصبة الأمم. وفي الحقيقة فإن ولسون الذي أعيد انتخابه أملا في إبقاء أمريكا خارج الحرب لم يفلح في ذلك. لقد كان ولسون هو النصير لفكرة الاستثنائية الأمريكية، حيث كان يرى أن الأمة والدولة مسؤوليتين مسؤولية فريدة عن تحقيق سلام العالم النهائي. وكانت الأسس الفكرية والخطابية الداعمة للسياسة الخارجية الأمريكية وقائمة على التدخل واردة في رسالته الحربية الموجهة إلى الكونجرس الأمريكي في أبريل ١٩١٧. فطبقا لسياسته فإن هدف أمريكا من الحرب كان يتجاوز مجرد إلحاق الهزيمة بالعدوان الألماني، وكان المبدأ الذي تبناه هو "لابد للعالم من أن يكون آمنا للديمقراطية". في سبيل ذلك يتعين على أمريكا أن تقاتل في سبيل حقوق وحريات الدول الصغيرة في سبيل السيادة الكونية الشاملة من الشعوب الحرة التي ستنجح في جلب السلام والأمن لجميع الأمم والدول وجعل العالم نفسه حرا. وهذه الفلسفة تبين أنه كان يرى أن الديمقراطية تخص الدول الأوروبية دون غيرها مما يحول دون المبادرة إلى تمكين جميع الشعوب من امتلاك فرصة التمتع بحق تقرير المصير. لقد جاء رده الرافض على الوفد الياباني في مؤتمر فرساي الذي أنهى الحرب العالمية الأولى، حين طالب هذا الوفد بإضافة مادة تعترف بمبدأ المساواة بين الأعراق والأمم[٨]. خلفت الحرب العالمية الأولى وراءها آثارًا مريرة من جراء ما نصت عليه معاهدة فرساي (١٩١٩) من تعويضات مرهقة وتقسيم اعتباطي للأقطار، فأدى ذلك إلى ظهور بنيوتو موسوليني (١٨٨٣ ـ ١٩٤٥) وأدولف هتلر (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥) وهما ذروة السلطة. لقد عانت إيطاليا كثيرا من خسائرها في الحرب العالمية الأولى ومن عدم تمكينها من تسوية فرساي السلمية. لذلك يرجع الكثير من التأييد الذي تمتع به موسوليني إلى سياسة القومية النضالية التي كان لابد لها أن تخلق توترا في عالم ما بعد الحرب. كذلك كسب هتلر التأييد بفضل سياسة القومية المتطرفة المصممة على إلغاء البنود المجحفة من معاهدة فرساي وعلى توحيد الشعوب الناطقة

بالألمانية في وسط وشرق أوروبا. من جانب آخر أدت عزلة الولايات المتحدة إلى إلقاء المسؤولية الرئيسية في المحافظة على سلم معاهدة فرساي على كاهل بريطانيا وفرنسا بوصفهما أعظم دولتين في أوروبا. وكان كل من الدولتين يخشى وقوع الحرب مجددا، ويشعر أن حرب ١٩١٤ إنما جاءت نتيجة لعجز النظام الدبلوماسي عن معالجة الأزمات الدولية، ولهذا اعتقدتا أن عليهما واجب الدخول في مفاوضات مع هتلر، وفي العشرينيات، كانت الثقة موضوعة في عصبة الأمم وفي سياسة نزع السلاح التي انهارت فيما بعد بسبب انعدام الثقة المتبادلة بين الدول الكبرى في أوروبا. وفي مطلع الثلاثينيات اتضح بشكل متزايد أن عصبة الأمم لن يكون بمقدورها القيام بدور يذكر لحفظ السلام. فقد كان في غزو اليابان لمنشوريا، وعلى نحو أكثر خطورة في أزمة الحبشة (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦)، ثم في الحرب الأهلية في إسبانيا (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)، مؤشرات واضحة أن عصبة الأمم عاجزة عن الحيلولة دون الاعتداءات الدولية التي تقوم بها الدول الكبرى. وكانت ضمانات بريطانيا عام ١٩٣٩ لبولندا ولرومانيا هي المحاولة الأخيرة منها للحد من أعمال هتلر. ولكنه كان قد اتفق مع السوفييت على اقتسام بولندا، بحجة أنه يريد ضم الممر البولندي، معللا نفسه بالأمل في أن تتراجع بريطانيا وفرنسا مرة أخرى كما سبق وفعلت في ميونخ. ولكنهما بدلا من ذلك، طالبت هتلر بوجوب الانسحاب من بولندا. وعندما انتهى موعد الإنذار البريطاني في ٣ من سبتمبر عام ١٩٣٩، أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا، وتبعتها فرنسا بعد ذلك بساعات قليلة[٩].

الحرب العالمية الثانية ودور أمريكا:

كان قدوم هتلر للحكم إحدى أكبر الكوارث التي حدثت في تاريخ العالم والتي أدت إلى انهيار نظام فرساي. وعندما سحق الجيش الألماني بولندا في أقل من شهر واحد، راحت القوات الفرنسية التي كانت تواجه قوة ألمانية ضعيفة، تراقب الموقف بسلبية من وراء خط ماجينو. وجاءت في أعقاب ذلك فترة أطلق عليها الحرب المزيفة تم فيها تماما انهيار فرنسا معنويا. وفي عام ١٩٤٠ تمكنت الحرب الخاطفة الألمانية من اختراق فرنسا، وبنهاية شهر يونيو كانت القوات الألمانية تسير عبر شارع الشانزليزيه في باريس، وأصبح هتلر سيد أوروبا. ولم يعرف هتلر كيف ينهي الحرب التي بدأها بتهور شديد. فقد كانت أمامه ثلاثة خيارات: فكان يمكن أن يحاول هزيمة بريطانيا العظمى،وكان يمكن الصلح معها، أو كان يمكنه أن يحاول هزيمة الاتحاد السوفيتي، وبعدئذ يستغل موارده الضخمة ثم يستدير إلى الغرب بكل قوته وينهي تدمير بريطانيا العظمى تدميرا كاملا. وفي صيف ١٩٤٠، حاول هتلر أن ينفذ أول خياريه، واستدار هتلر إلى اختياره الثاني وهو السعي لتدمير السلاح الجوي البريطاني وغزو الجزر البريطانية إذا اقتضت الضرورة، ولكنه لم يذهب

إلى أبعد من مجرد التفكير في ذلك فقط. فلم تكن عمليات الإنزال البري جزءا من التخطيط الألماني قبل الحرب، وقد تم التخلي عن خطة غزو بريطانيا بسبب العجز في طائرات الإنزال الألمانية وعدم قدرة سلاح الطيران الألماني علي تدمير السلاح الجوي البريطاني. وفي شهر يوليو ١٩٤٠ أصدر هتلر تعليماته بوضع خطط مبدئية لشن حملة ضد الاتحاد السوفيتي، وقال لقادة جيشه أنه بمجرد أن يهزم الاتحاد السوفيتي فسوف تستطيع اليابان أن تلقي بكل ثقل قواتها ضد أمريكا وبذلك تحول انتباه واشنطن إلى المحيط الهادي، وسوف تضطر بريطانيا المعزولة آنئذ بدون سند من أمريكا أن تتخلى عن القتال وأخيرا حصل هتلر على الحرب التي أرادها، وأصبح القادة الألمان يقاتلون في جبهتين فقد حاولوا تحقيق ما هو أكثر من اللازم المرة الثانية في فترة جيل واحد. كان هناك ٧٠ مليون ألماني يشاركون في حرب مع ٧٠٠ مليون من أعدائهم عندما زج هتلر بالولايات المتحدة في أتون الحرب في ديسمبر ١٩٤١. ويبدو أن هتلر نفسه كان يخاف إلى درجة الرعب من المهمة التي ألقاها على كاهله. وقبل ساعات من الهجوم قال لأركان حربه: "إني أشعر وكأني فتحت باب غرفة مظلمة لم أرها من قبل دون أن أعرف ما وراء هذا الباب".

لقد راهن ستالين على رجاحة عقل هتلر وخسر، وراهن هتلر على أن ستالين سينهار بسرعة وخسر هو أيضا. ولكن بينما كان خطأ ستالين من الممكن إصلاحه فلم يكن من الممكن إصلاح خطأ هتلر. وسرعان ما كان التهديد الذي تعرض له ميزان القوى الأوروبي يرغم الولايات المتحدة على دخول الحرب وذلك لوقف اندفاع ألمانيا السريع للسيطرة على العالم. قاد روزفلت شعبا انعزاليا إلى حرب بين بلدان كانت الصراعات بينها تعتبر من سنوات قبله أمرا لا يتماشى مع القيم الأمريكية ولا صلة لها بالأمن الأمريكي. فبعد عام ١٩٤٠ أقنع روزفلت الكونجرس الأمريكي، الذي كان قد أقر بالإجماع من سنوات قلائل من الإجراءات التي تهدف إلى حياد أمريكا، بالموافقة على تقديم مساعدات متزايدة

لبريطانيا العظمى. وأخيرا حدث أن قضى هجوم اليابان على بيرل هاربر على آخر حالات التردد الأمريكي في الوقوف منعزلة عن مشاكل العالم. لقد استطاع روزفلت أن يقنع مجتمعا ظل طوال قرون يقدس مناعته من الأخطاء الرهيبة التي قد تنجم عن نصر تحققه دول المحور. وحرص روزفلت على أن يكون اشتراك أمريكا هذه المرة في الحرب هو خطوة أولى نحو اندماجها الدائم في المجال الدولي. وأثناء الحرب العالمية الثانية عملت قيادته على تماسك الحلفاء وشكلت تلك القيادة المؤسسات متعددة الأطراف التي استمرت في خدمة المجتمع الدولي حتى يومنا هذا.

ولم يحدث أن ترك رئيس أمريكي، مع احتمال استثناء إبراهام لينكولن أثرا عميقا بهذا الشكل في التاريخ الأمريكي. لقد أقسم روزفلت يمين الولاء بينما كان يتولى منصبه في جو سيطر فيه الشكل على الأمريكيين عندما اهتز بشدة إيمانهم بقدرة العالم الجديد اللا نهائية على التقدم وذلك بسبب الكساد العظيم الذي حل بالعالم. وكانت الديمقراطيات حوله في ذلك الوقت تبدو وكأنها تترنح بينما كانت الحكومات غير الديمقراطية على كل من اليمين واليسار تحرز تقدما ملحوظا. لقد كانت رحلة أمريكا ابتداء من التورط في الحرب العالمية الأولى إلى الاشتراك الفعلي في الحرب العالمية الثانية رحلة طويلة ـ قطعها تغيير كامل في موقف أمريكا من العزلة التي كانت تنتهجها. إن عمق التغير المفاجئ الذي حدث في أمريكا نحو الشؤون الدولية، يوضح ضخامة الإنجاز الذي حققه روزفلت.

وعندما نزلت قوات الحلفاء في نورماندي في شهر يونيو ١٩٤٤ وتقدمت ناحية الغرب كان مصير ألمانيا قد تحدد. وكما كان محتما، فقد انتهت الحرب تاركة فراغا جغرافيا سياسيا، وقد قضى على ميزان القوى وظلت معاهدة السلام الشاملة أمرا مراوغا غير محدد. وقد انقسم العالم إلى معسكرات أيديولوجية، وتحولت فترة ما بعد الحرب إلى صراع محتد لتحقيق التسوية التي أفلتت من أيدي القادة

قبل أن تنتهي الحرب. حاول الرئيس الأمريكي الجديد هاري ترومان أن يواصل رسالة روزفلت بالإبقاء على الحلفاء مترابطين معا. ومع نهاية فترة رئاسته كان كل أثر للتناسق الذي كان موجودا أثناء الحرب قد اختفى، وأصبحت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي العملاقان الكبيران يواجه كل منهما الآخر في قلب أوروبا ذاتها. وكان مؤتمر بوتسدام والذي استمر من ١٧ من يوليو حتى ٢ من أغسطس ١٩٤٥ أهم حادث فيه والذي لم يكن مدرجا في جدول الأعمال الرسمي هو إبلاغ ترومان ستالين بتوصل الولايات المتحدة إلى صنع القنبلة الذرية. انتحر هتلر وفي ٤ من مايو ١٩٤٥ استسلمت ألمانيا، وفي ٦ من أغسطس ألقت القوات الأمريكية أول قنبلة ذرية على هيروشيما في اليابان، ثم ألقيت قنبلة ثانية على ناغازاكي، فاضطرت اليابان إلى الاستسلام في ١٤ من أغسطس عام ١٩٤٥. وقال تشرشل فيما بعد: إنه لو كان قد أعيد انتخابه لأنهى الأمور في بوتسدام وحاول فرض تسوية المشكلات التي كانت قيد البحث. ولم يحدد تشرشل ما الذي كان يفكر فيه، والحقيقة أنه كان يمكن حض ستالين على قبول تسوية بعض المسائل رغم أن ذلك كان سيتم تحت ضغط شديد وفي لحظات أخيرة. وفي نهاية الحرب كان الأمريكيون قد أرهقوا من الحرب والمواجهات، وكانوا يريدون قبل كل شيء أن يعود الأبناء الأمريكيون إلى وطنهم، ولم تكن أمريكا على استعداد للتهديد بمزيد من المواجهات ناهيك عن شن حرب نووية بسبب التعددية السياسية في أوروبا الشرقية أو بسبب حدود أوروبا الشرقية. وكان الإجماع على مقاومة المزيد من التقدم الشيوعي يعادل الإجماع على عدم الدخول في مخاطر حربية أخرى. وباختصار يمكن توضيح صورة العمليات العسكرية في الحرب العالمية الثانية كما يلي[١٠]:

١ـ كانت ساحة الحرب الرئيسية في أوروبا، مثلما كانت في الحرب العالمية الأولى، فقد سيطرت قوات المحور على غرب أوروبا كلها تقريبا بحلول يونيو ١٩٤٠، ثم وسعت ألمانيا النزاع بهجومها على الاتحاد السوفيتي بعد عام. وبلغ ما

احتلته قوات المحور حده الأعلى في أكتوبر عام ١٩٤٢. بحلول مايو ١٩٤٥، هزمت ألمانيا على أثر هجوم روسي مضاد ونزول جيوش الحلفاء في فرنسا وإيطاليا.

٢ ـ ظهرت أسلحة حرب جديدة متطورة مع مضي الحرب قدما. فقد أحرز الألمان انتصاراتهم الأولى بتفوقهم في حرب الدبابات وطائرات الانقضاض. من جانب آخر، حملت الطائرات القاذفة للقنابل الموت والدمار إلى عمق الأراضي الألمانية، ولكنها فشلت في تحطيم معنويات الألمان. وقد كان على الحلفاء اختراع واتقان أساليب الحرب البرمائية تمهيدا لغزو "قلعة أوروبا".

٣ ـ تبين المقارنة بين القوات العسكرية في بداية الحرب، إنه على الرغم من أن ألمانيا كانت تملك عددا أكبر من الطائرات عام ١٩٣٩، إلا أن فرنسا وبريطانيا مجتمعتين كانت أقوى من ألمانيا في الرجال والعدة. كذلك كان حجم القوات السوفييتية هائلا، حيث كانت الحاجة إلى الأعداد البشرية كبيرة جدًا.

٤ ـ توسع اليابانيون في المحيط الهادي ليضمنوا لأنفسهم إمدادات النفط ومعادن جنوب آسيا، ولبناء خط دفاعي ضد هجمات الحلفاء المضادة.

٥ ـ أصبحت معركة الأطلسي معركة حيوية لبريطانيا بعد زوال خطر الغزو الألماني. وكانت الغواصات الألمانية تبتغي تجويع بريطانيا لإرغامها على الاستسلام، ولكي تزيل بذلك خطر التعرض لهجوم مضاد في الغرب.

٦ ـ كانت الحرب العالمية الثانية أفظع حرب مدمرة في التاريخ. فمن الممكن أن يكون مجموع القتلى قد بلغ ٤٥ مليون إنسان. لكن ضخامة القصف بالقنابل والتدابير الألمانية المتخذة ضد المدنيين في الأراضي المحتلة، جعلت عدد الضحايا من المدنيين أكثر بكثير.

٧ ـ في نهاية الحرب ، كان هناك أكثر من مليون شخص يعيشون في مخيمات

اللاجئين في مختلف أنحاء أوروبا. وكان معظمهم مواطنين سوفييت أو من بلدان أوروبا الشرقية.

كان الحدث الذي قضى على معارضة روزفلت في الدخول في الحرب العالمية الثانية - هو الهجوم الياباني الخفي على الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر. وعلى الرغم من ميله نحو الحرب - نتيجة لهذا الهجوم - فمن المحتمل أن روزفلت كان سيفشل في إقناع الشعب الأمريكي بخوض الحرب إلا بحدوث حدث من الفظاعة مثل ضرب ميناء بيرل هاربر بالقنابل. ومن المؤكد أنه لم يكن يحقق استجابة موحدة لولا الهجوم الياباني.

كان الانتصار بالنسبة للولايات المتحدة أهم بعد الحرب العالمية الثانية مقارنة مما هو بعد الحرب العالمية الأولى، ذلك لأن الولايات المتحدة لعبت دورا أكبر ولأن العدو كان متوحشا. وعندما انتهت الحرب رغب الأمريكان مرة أخرى في العودة إلى الوطن. تم إنهاء خدمة أكثر من ثمانية ملايين رجل وامرأة - أو حوالي ٧٥٪ من القوات المسلحة - وإعادتهم للبلاد. ولم يتبق إلا مليون ونصف جندي في القوات المسلحة بحلول يونيو ١٩٤٧، وبذلك انخفضت نفقات الدفاع من ٩١ بليون دولار إلى ١٠ بلايين دولار.

في ٢٢ من فبراير ١٩٤٦، أرسل جورج ف كينان كبير موظفي سفارة الولايات المتحدة في موسكو تلغراف مطولاً إلى واشنطن يصف وجهة النظر العصابية للكرملين عن شؤون العالم والشعور الروسي الغريزي والتقليدي بعدم الأمان. وبعد عدة أسابيع، ألقى ونستون تشرشل خطبة قوية في حضور ترومان في فلوتن بولاية ميسوري. حذر تشرشل الأمريكان بأن الجيش السوفيتي فرض ستارا حديديا على أوروبا الشرقية وأقام دولة بوليسية، ونشر الشيوعية نحو الغرب وهدد الحريات.

والحدث الذي أجبر ترومان على تغيير تفكيره وإنشاء أمن قومي حكومي قد

حدث في ٢٥ من يونيو عام ١٩٥٠، عندما غزت كوريا الشمالية كوريا الجنوبية. فسر ترومان الغزو على الفور بأنه اختبار لصدق عزيمة الغرب.

تعجلت الجهود لإعادة بناء ألمانيا واليابان ديمقراطية. غير أن كلتا الدولتين وافقتا على التخلي عن الأسلحة النووية وأية قوة عسكرية هجومية ـ وهما مبادرتين مهمتين بدرجة قوية أسهمتا في استقرار كل من أوروبا وآسيا[١١].

الحرب الباردة وما بعدها:

عندما توفى روزفلت في ١٢ من أبريل ١٩٤٥ كانت جيوش الحلفاء قد وضعت أقدامها في عمق ألمانيا، وكانت معركة أوكيناوا وهي مقدمة غزو الحلفاء لليابان قد بدأت على التو. لقد أدى انهيار ألمانيا النازية وكذلك الحاجة على ملء الفراغ الذي نجم عن ذلك إلى تفسخ بين زملاء الحرب. وكانت أغراض الحلفاء مختلفة ومتباعدة تماما. فقد حاول تشرشل منع الاتحاد السوفيتي من السيطرة على أوزوبا الوسطى. وكان ستالين يريد أن يحصل على مكافأته في صورة عمله على أرضية الانتصارات الحربية التي حققها، وعن المعاناة الباسلة التي تحملها الشعب الروسي، وقد حاول الرئيس الجديد هاري ترومان أصلا أن يواصل رسالة روزفلت بالإبقاء على الحلفاء مترابطين معا. وعموما، ففي نهاية فترة رئاسته كان كل أثر للتناسق الذي كان موجودا أثناء الحرب قد اختفى، وأصبحت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي العملاقان الكبيران يواجه كل منهما الآخر في قلب أوروبا ذاته. لقد اختارت أمريكا الوحدة الغربية وفضلتها على المفاوضات بين الشرق والغرب. ولم يكن حقا أمامها أي خيار آخر لأنها لم تجرؤ على المخاطرة بتنفيذ ما ألمح إليه ستالين لكي تجد أنه كان يستغل المفاوضات لتقويض النظام العالمي الجديد الذي كانت أمريكا تحاول بناءه. وأصبح الاحتواء هو المبدأ الذي يسترشد به في السياسة الغربية، وظل كذلك طيلة الأربعين عاما التي تلت ذلك. وقد نظر ترومان إلى الصراع الآخذ في التطور بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على أنه صراع بين الخير والشر وليس صراعا حول مناطق النفوذ السياسي.

وكانت وحشية الانقلاب في تشيكوسلوفاكيا قد أيقظت من جديد المخاوف من أن يرعى الشيوعيون عمليات استيلاء مماثلة أخرى على الحكم في أوروبا. لذلك ففي شهر أبريل ١٩٤٨ عقدت عدة دول أوروبية غربية حلف بروكسل - وهو حلف دفاعي هدفه صد أي محاولة بالقوة للإطاحة بالحكومات الديمقراطية ومع ذلك، فإن أوروبا الغربية لم يكن لديها إطلاقا القوة الكافية لصد هجوم شيوعي. ولذلك خرجت إلى الوجود منظمة معاهدة شمال الأطلنطي، (حلف الأطلنطي) كطريقة لربط أمريكا بالدفاع عن أوروبا الغربية. وكان الحلف بمثابة تحول غير مسبوق في السياسة الخارجية الأمريكية، فقد انضمت القوات الأمريكية والكندية إلى جيوش أوروبا الغربية تحت القيادة الدولية لحلف الأطلنطي. وكانت النتيجة هي مواجهة بين حلفين عسكريين واثنين من مناطق النفوذ على طول الخط الفاصل في أوروبا الوسطى. ولقد ضمنت القيادة الأمريكية للحلف أن يكون للنظام العالمي الجديد مبرراته الأخلاقية بل وحتى الدينية فيما يتعلق بالأمل في ظهور مسيح جديد. وقد بذل القادة الأمريكيون جهود مضنية لتأييد النداء الخاص بالتمسك بالقيم الأساسية والحلول الشاملة بدلا من حسابات الأمن القومي والتوازن التي كانت سمة الدبلوماسية الأوروبية. وفي وثيقة مجلس الأمن القومي الأمريكي والتي صدرت في شهر أبريل ١٩٥٠، والتي كانت بمثابة بيان أمريكا الرسمي عن إستراتيجية الحرب الباردة. وقد عرفت تلك الوثيقة المصلحة الوطنية باعتبارها مبدأ أخلاقيا. وفي الرأي الذي ورد بها أن النكسات الأخلاقية أكثر خطورة من النكسات المادية. إن مبدأ الآباء المؤسسين لأمريكا، وهو أن تكون أمتهم منارة الحرية للبشرية جمعاء تسلل إلى فلسفة أمريكا في الحرب الباردة. وبرفض واضعو الوثيقة خيط التفكير الأمريكي الذي عبر عنه تحذير جون كوينس آدمز من "الذهاب للخارج للبحث عن وحوش لندمرها" فإنهم بذلك اختاروا الصورة البديلة لأمريكا وهي صورة دولة تجاهد في سبيل مثل عليا: "أننا يمكننا المحافظة على سلامة شخصيتنا فقط عن طريق التأكيد العملي في الخارج والداخل لقيمنا

الأساسية وفي هذا تكمن خيبة أمل مخططات الكرملين". في ٢٥ من يونيو ١٩٥٠ اضطرت أمريكا فجأة إلى مواجهة غموض سياسة الاحتواء وإيجاد حل لهذا الغموض بطريقة مباشرة وذلك عندما ووجهت بعدوان حربي من دولة شيوعية ضد بلد كانت واشنطن قد أعلنت أنه خارج نطاق حدود الدفاع الأمريكي وكانت قد سحبت منه القوات الأمريكية كلها في العام السابق. وكانت المعتدي هو كوريا الشمالية والضحية هي كوريا الجنوبية، والاثنان يبعدان نفس المسافة عن أوروبا - بؤرة الإستراتيجية الأمريكية. أخذ الشيوعيون في موسكو وبيونج يانج المعنى الظاهري لتصريحات القادة الأمريكيين التي وصفوا فيها كوريا خارج النطاق الدفاعي للولايات المتحدة. فقد افترضوا أن أمريكا لن تقاوم استيلاء الشيوعيين على نصف كوريا بعد أن وافقت على انتصار الشيوعيين في الصين الذي شكل غنيمة أكثر أهمية لا تقارن بشيء آخر. والواضح أنهم لم يتمكنوا من فهم البيانات الأمريكية المتكررة التي ورد فيها أن مقاومة العدوان الشيوعي هي واجب أخلاقي أكثر أهمية بالنسبة لواضعي السياسة الأمريكية من التحاليل الإستراتيجية، وهكذا نشبت الحرب الكورية بسبب سوء فهم مزدوج، وكان الأعضاء الرئيسيون في إدارة الرئيس ترومان يؤمنون بوجود مخطط شيوعي عالمي وعاملوا العدوان الكوري على أنه أول تحرك في إطار إستراتيجية سوفيتية منسقة يمكن أن تكون افتتاحية لهجوم شامل. وعندما نشرت القوات الأمريكية في كوريا بدؤوا عندئذ البحث عن طريق للإعلان عن تصميم أمريكا على مقاومة العدوان الشيوعي في منطقة المحيط الهادي. وربطوا الإعلان عن إرسال القوات بأوامر صدرت إلى الأسطول السابع لحماية تايوان من الصين الشيوعية. بالإضافة إلى ذلك قام ترومان بزيادة المساعدات العسكرية للقوات الفرنسية التي تقاوم صراع الاستقلال الذي يتزعمه الشيوعيون في فيتنام. وعندما وجه جيش الشعب الصيني ضربته، فإن صدمة المفاجأة تسببت في تراجع مشوب بالفزع للقوات الأمريكية من نهر يالو إلى جنوب سيول التي تم التخلي عنها للمرة الثانية في ستة شهور، وقد تسببت الأزمة في أن تفقد إدارة

ترومان السيطرة على الأهداف السياسية. واعتمادا على تأرجح عمليات القتال تجددت الأهداف السياسية بإنهاء وقف العدوان وتوحيد كوريا والمحافظة على أمن قوات الأمم المتحدة وضمان وقف إطلاق النار والحيلولة دون انتشار الحرب. ولكن غير ترومان الأهداف الكورية وتم تعريف صد العدوان بأنه الوصول إلى تسوية حول خط وقف إطلاق النار القائم - أينما كان ذلك الخط - كذلك أجل إلى المستقبل توحيد كوريا الذي ظلت الأمم المتحدة تسعى إلى تحقيقه من قبل ستة شهور. وأثناء فترة التوقف المؤقت اتخذ الشيوعيون لأنفسهم مواقع منيعة تقريبا في أرض جبلية وعرة، وبالتالي أزالوا بالتدريج التهديد الأمريكي باستئناف الأعمال العدوانية. وقد أدى ذلك إلى حرب استنزاف طويلة توقفت فقط بسبب توازن مزعج ظهر بين قدرات الصين المادية وعوامل الكبت النفسي الأمريكي. ومع ذلك فقد كان ثمن التجميد في الموقف هو أن عدد الضحايا الأمريكيين أثناء المفاوضات تجاوز عدد الضحايا في الفترة التي سبقتها أثناء الحرب الشاملة.

أعطت الحرب في كوريا إشارة بتغيير النضال ضد الشيوعية في العالم الثالث، التي تم محاربتها بصورة غير مباشرة عادة وعن طريق الغير في جواتيمالا والملايو والفليبين والكونغو وكوبا وشيلي وأنجولا وموزامبيق ونيكاراجوا وجرينادا وأثيوبيا. وكان لكل صراع الأسباب الداخلية لكن حدته تفاقمت بسبب الانقسامات الأيدولوجية بين معسكري الحرب الباردة. وفي كوبا وفيتنام وأفغانستان، تصادمت الحرب الباردة بالوعي القومي الجديد، وعلى الرغم من الاعتقاد المتوهج لأمريكا بالديمقراطية والسوفيت بالشيوعية، فقد خسر كلاهما وفاز الوعي القومي.

على مدى أربعين سنة، استفزت كوبا وكاسترو كلا من السياسات الأمريكية الأفضل والأسوأ تجاه أمريكا اللاتينية: ففي الجانب الإيجابي، تحالف كينيدي من أجل التقدم، وحملة حقوق الإنسان لكارتر، ومعاهدات قناة بنما، ومبادرة

الحوض الكاريبي لريجان. وفي الجانب السلبي الاغتيالات والأعمال السرية في كوبا، وشيلي ونيكارجوا.

في عام ١٩٥٤، بعد عقد هدنة في كوريا، لم يرغب الرئيس داويت أيزنهاور في بدء حرب آسيوية ثانية، وتخلى عن مطلب فرنسا اليائس لمنع الانتشار الشيوعي في فيتنام. وبعد ست سنوات حذر الرئيس جون ف كينيدي بأن الولايات المتحدة لا يمكنها تحمل ضياع الهند الصينية ليأخذها الشيوعيون. هذه الضرورة حكمت سياسة أمريكا من أواخر الخمسينيات حتى سحقت فيتنام الشمالية فيتنام الجنوبية في عام ١٩٧٥ وتكبدت الولايات المتحدة خسائر فادحة.

اتخذت سياسة أمريكية تجاه العالم الشيوعي وعملت كما لو كان هناك وحدة في المصالح بين الاتحاد السوفيتي والصين. وقد تدهورت علاقتهما في أواخر الخمسينيات، غير أن الولايات المتحدة كانت غافلة عن التدهور لأكثر من عقد.

وصرح هنري كيسنجر بأنه كانت هناك دبلوماسية سوفيتية ظالمة أيقظت الرئيس ريتشارد نيكسون إلى فرصة تغيير المعادلة الجيبولوتيكة بإقامة علاقات ودية مع الصين واحتضانها في وسط ثورتها الثقافية. وعندما تولى دينج زيا بونج السلطة في أواخر السبعينيات، وأقام علاقات دبلوماسية مع الرئيس جيمي كارتر، فقد أتاح ذلك الانفتاح على العالم إصلاحات اقتصادية جوهرية، غيرت علاقاتها بالغرب وتوازن القوى في شرق آسيا.

دارت المناقشات حول التعايش السلمي الذي انبثق عن مؤتمر الأقطاب الذي عقد في جنيف عام ١٩٥٥ والذي لم يغير من الحقيقة الأساسية شيئا. وتلك الحقيقة هي أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وهما الدولتان العظميان في العالم قد دخلتا بالفعل معا في صراع جغرافي سياسي. فقد كان هناك مفهوم شائع وهو أن المكسب الذي يحققه أي منهما سواء الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي، يعتبر خسارة للآخر. وفي منتصف الخمسينيات من القرن العشرين

كانت منطقة النفوذ الأمريكية في أوروبا الغربية آخذة في الازدهار، وكان ما أبدته أمريكا من استعداد لحماية منطقة نفوذها بالقوة العسكرية سببا في ردع روح المغامرة السوفيتية. وكان القادة الأمريكيون يحاولون الدمج بين سياستين لا يوجد أي تناسق بينهما، وذلك لإنهاء دور بريطانيا العظمى الاستعماري باستغلال بقايا النفوذ البريطاني لإقامة بنية لسياسة الاحتواء في الشرق الأوسط. وقد وضعت إدارة الرئيس أيزنهاور مفهوم الحزام الشمالي ـ المكون من تركيا والعراق وسوريا وباكستان على أن تكون إيران شريكا محتملا فيما بعد. وتلك صورة لحلف الأطلنطي في الشرق الأوسط، والهدف منها احتواء الاتحاد السوفيتي عند حدوده الجنوبية. وقد أسفر هذا المفهوم عن ثماره في حلف بغداد الذي رعته بريطانيا ولكن ثبت في مناسبات عدة أنه حلف متصدع[١٢]. وفي أزمة السويس ١٩٥٦، قدم أيزنهاور ثلاثة مبادئ كل منها يمثل حقائق ثابتة وهي: إن التزامات أمريكا نحو حلفائها هي التزامات محددة في وثائق قانونية، وأن اللجوء إلى القوة من جانب أي دولة أمر غير مسموح به إلا إذا عرف بشكل ضيق بأنه دفاع عن النفس، والأهم من ذلك، هو أن أزمة السويس هي أن لأمريكا فرصة لأداء مهمتها الحقيقية وهي زعامة العالم النامي. وقد وردت أول نقطة في خطاب أيزنهاور في ٣١ من أكتوبر ١٩٥٦ الذي ألقى فيه بكل ثقل أمريكا الدبلوماسي ضد بريطانيا العظمى وفرنسا: (لن يكون هناك سلام بدون قانون ولن يكون هناك قانون إذا عملنا وفق قانون واحد للسلوك الدولي لأولئك الذين يعارضوننا وقانون آخر لأصدقائنا). وفي ٥ من يناير عام ١٩٥٧، بعث الرئيس الأمريكي أيزنهاور برسالة إلى الكونجرس طالب فيها الكونجرس بالتصديق على ما عرف فيما بعد بمبدأ أيزنهاور ـ وهو ـ برنامج خاص بالشرق الأوسط مكون من ثلاث نقاط خاصة بالمساعدات الاقتصادية والمعونة العسكرية والحماية من العدوان الشيوعي. وفي رسالته عن حالة الاتحاد في ١٠ من يناير عام ١٩٥٧ ذهب أيزنهاور إلى أبعد من ذلك بأن أعلن التزام أمريكا بالدفاع عن العالم الحر بأجمعه:

أولا: أن مصالح أمريكا الحيوية توجد في العالم كله، في نصف الكرة وكل قارة.

ثانيا: إننا لدينا مصالح مشتركة في كل دول العالم الحر.

ثالثا: إن استقلال المصالح يتطلب احترام حقوق الشعوب وسلامها.

إن محاولة أمريكا فصل نفسها عن أوروبا قد يصل بها إلى موقف عليها أن تتحمل فيه بنفسها حماية كل دولة حرة (أي غير شيوعية) في أي منطقة من العالم. ورغم أن أمريكا أثناء أزمة السويس كانت مازالت تحاول التعامل مع غموض التوازن في العالم النامي عن طريق الأمم المتحدة، ففي خلال عامين كانت القوات الأمريكية تنزل في لبنان وفقا لمبدأ أيزنهاور. وبعد ذلك بعقد من الزمان كانت أمريكا وحدها تصارع الموقف في فيتنام وقد تنصل معظم حلفائها منها بأن أثاروا كثيرا من الدلائل منذ أيام السويس وفقا لأقوال أمريكا نفسها.

أظهرت سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط توازنا معقدا في المصالح السياسية والإنسانية والاقتصادية. تجاهل ترومان مصالح البترول واعترف بدولة إسرائيل الجديدة في عام ١٩٤٨، وهذا بالطبع لم يعن أن الولايات المتحدة يمكنها تجاهل اهتمامات أمريكا بشركات البترول الأمريكية أو وجهات نظر الدول العربية في المنطقة، ووضع واشنطن في وسط الاضطرابات في السياسات الشرق أوسطية، وحاول الحفاظ على علاقات مع العرب في الوقت الذي يحمي فيه مصالح إسرائيل وبذل جهدا لكي يقبل كل طرف الطرف الآخر.

عندما انهار الاتحاد السوفيتي، رحبت الولايات المتحدة، ولم يكن الرئيس الأمريكي جورج بوش ووزير خارجيته جيمس بيكر الثالث متأكدين من إخلاص الفكر الجديد، ولكن كان الاختبار في أغسطس عام ١٩٩٠ عندما هاجم صدام حسين جارته الكويت وتم إقناع الاتحاد السوفيتي بالانضمام إلى الولايات

المتحدة لإدانة العدوان وبتهديد الأمم المتحدة برأب العدوان. والقوة العسكرية للولايات المتحدة التي حصلت على شرعيتها من الأمم المتحدة طردت العراقيين من الكويت. وذكرت نهاية الحرب الباردة العالم بما يمكن أن تفعله الأمم المتحدة إذا اتفقت القوى الكبرى على أعراف وإستراتيجيات.

جيمس بيكر الثالث

جورج بوش

كانت مهمة الرئيس بيل كلينتون التركيز على الأجندة المحلية واستمرار في تعديل السياسات العالمية لبوش بدرجة طفيفة، وإعادة تحديد مصالح السياسة الخارجية الأمريكية من أجل أن تدمج وتدافع عن المصالح المحلية وخاصة زيادة الوظائف وإيقاف الاتجار بالمخدرات والجرائم الأخرى. وكما فعل مع السياسات الداخلية، فتح باب السياسة الأخرى بدرجة أوسع للمجموعات العرقية وجماعات المصالح الأخرى. وقام بتعديل اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (NAFTA) لكي تتضمن على اتفاقيات فرعية عن البيئة والعمل وقد أقرها الكونجرس.

وعلى الرغم من جهود كلينتون لإعادة توكيد السياسة الخارجية، فقد فاز الجمهوريون بكل من مجلسي الكونجرس في نوفمبر عام ١٩٩٤ من خلال برنامج سياسي كان صامتا في أفضل الأحوال عن دور البلاد الدولي. ثم جاء بعد ذلك بوش الابن.

وطبقا لباستور[١٢] هناك حقائق معينة - وليست حقائق يقينية - يحتمل أن تحدد دور الولايات المتحدة في العالم:

- سوف تمضي الولايات المتحدة في لعب دور رئيسي في العالم في القرن الحادي والعشرين في جميع المجالات تقريبا - الأمنية، الاقتصادية، والثقافية - لكن طبيعة هذا الارتباط سوف تتغير وسيعتمد الكثير منها على حالة الاقتصاد الأمريكي.
- سوف يشعر بنفوذها المتعاظم في مخطط متعدد الوظائف في النظام الدولي.
- زعامة أمريكا في حل أزمات الأمن المحتملة في شمال وجنوب ووسط آسيا وفي الدول المنقسمة عرقيا أو الدول التي كان يحكمها طغاة عدوانيون لن يتم حمايتها، على الرغم من أن الفشل في مواجهة هذه الأزمات يمكن أن يقوض النظام الدولي متعدد الوظائف الذي خططت له الولايات المتحدة.
- وعلى الرغم من أن سياستها سوف تظل عالمية، فسوف تمضي الولايات المتحدة في الاعتماد البناء على روابطها الاقتصادية في نصف القارة والاحتفاظ بروابط أمنية مع أوروبا واليابان. تلك الروابط الأمنية سوف توفر مراكز للاستقرار في عالم يحتاج إليها.
- سيكون القرن الحادي والعشرون مختلفا تماما عن القرن العشرين. لقد غيرت الولايات المتحدة قواعد ولعبة السياسية الدولية في القرن العشرين، وقد أصبح العالم اليوم مختلفا لأن الولايات المتحدة أصبحت مختلفة.